جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ / المرحلة : الثالثة

المادة : فلسفة التاريخ

عنوان المحاضرة /

التفسير المثالي للتاريخ

....

أ م د : نعمه بحر فياض

العام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦

التفسير المثالي للتاريخ

التفسير المثالي هو كل ما ينتسب إلى (الفكرة)، والفكرة تقابل في معناها: الواقع المادي الخارجي، وان المثالي هو كل أمر يوجد في العقل أو الذهن وهو فكرة ولا يوجد لها على أرض الواقع، لذلك يرى أن المثالي يقابله أي عكسه الواقعي أو هو ما يجب أن يكون في مقابل ما هو كائن، ويرى (بليخانوف) أن المادية هي النقيض المباشر (للمثالية)، فالمثالية تحاول تفسير الظواهر الطبيعة، وكل شيء فيها بإرجاعها إلى خصائص روحية فحسب، في حين تسعى المادية نحو إظهار اتجاه مخالف تماماً يعطي المادة دوراً رئيساً في عملية التفسير هذه، فحتى الظواهر النفسية ترجع لدى الفلاسفة المادين إلى خواص المادة وطريقة انتظامها في جسم الإنسان، وذلك فإن التفسير المثالي للتاريخ يعني التفسير الذي لا يعزو حركة التاريخ إلى دوافع مادية واقعية كالدوافع الاقتصادية والطبيعية الجغرافية والفردية البطولية والاجتماعية البشرية، بل يفسر حركة التاريخ بدوافع مثالية، أو ميتافيزيقية ليس لها وجود مادي أو واقع خارج الذهن أو الفكر.

كان للفلسفة المثالية وجود قبل أن تلتد مباحثها في القرن التاسع عشر لتشمل فلسفة التاريخ. وتلك المباحث تتعلق بنظرية الوجود ونظرية المعرفة ومواضيع أخرى كالقيم والجمال، فضلا عن مجالها الحيوي الأساسي المتمثل بالميتافيزيقيا ومباحث الفلسفة بصورة عامة، ولعل أفلاطون كان أقدم فيلسوف مثالي تبنى المثالية الموضوعية أذ كان يرى أن الجزئيات الحسية ليس لها وجود حقيقي، وانما صورها النوعية في ذات الوجود الحقيقي لها، فصورة الإنسان هي الحقيقية، بينما

الجزئي المحسوس من بنى الإنسان، كزيد وعمرو، ليس له وجود حقيقي إلا من خلال مشاركته في صورة النوع الإنساني، وقد برز في العصر الحديث فلاسفة مثاليون كثيرون كان في مقدمتهم المثاليون الألمان، وبصورة عامة فإن المثالية، التي انطلق منها التفسير المثالي.

ويبدو أن الفلسفة المثالية التي أنتجت للتفسير المثالي للتاريخ على يد الفيلسوف الألماني هيغل، كانت تسير بخطوات مطردة على يد الفلاسفة الألمان الذين كثفوا جهودهم في صياغة أشد أنواع الفلسفة المثالية الميتافيزيقية تفصيلا في التاريخ الحديث، وكان في مقدمة هؤلاء (إيمانويل كنت) (ت١٨٠٤) (الذي يصفه عبد الرحمن بدوي بأنه "أعظم فلاسفة العصر الحديث، ويأتي بعده المؤسسون الألمان الثلاثة للفلسفة المثالية، وهم: (فتحه ١٨٤١) (، وشيلنغ ١٨٥٤ وهيغل ١٨٣١) ، وقد وصف هيغل فلسفته التي تمخض عنها التفسير المثالي للتاريخ بإجمالها بأنها مثالية ذاتية أو مطلقة، موضحاً ذلك بقوله: "المثالية هي القول بأن المتناهي مثالي، والمثالية في الفلسفة معناها ما يلي فقط معناها عدم الاقرار بأن المتناهي موجود حقيقي، وكل فلسفة هي مثالية في جوهرها، أو على الأقل تقوم على مبدأ المثالية. للتاريخ، والتي عرفها إيمانويل كنت بأنها: النظرية التي تقرر إن وجود الأشياء في المكان خارج العقل هو إما وجود مشكوك فيه، أو زائف أو مستحيل وكل فلسفة هي مثالية في جوهرها، أو على الأقل تقوم على مبدأ المثالية .

كان مجمل الفلسفة المثالية التي انتعشت في النصف الأول من القرن التاسع عشر، تعبر عن شكل مفن أشكال الرد على الفلسفة العقلية التي سادت في القرن الثامن عشر، وهي الفلسفة التي

كانت تعزو حركة التاريخ إلى نظريات وعوامل عديدة تستند إلى تفسيرات حسية ومادية، وعقلية مختلفة، أون القرن التاسع عشر قد شهد ظهور تفسير آخر مقابل للتفسير المثالي هو التفسير الطبيعي للتاريخ، وهما تفسيران متعارضان استغرقا وجودهما طوال سنوات القرن التاسع عشر منذ بداياتها، وكان التفسير الطبيعي لأحداث التاريخ الجزئية يستند إلى فلسفتي جون لوك، وديفيد هيوم وانعكاسهما على التاريخ الذي يبدأ بالقول إن المعرفة التاريخية تقوم على المادة التاريخية لا على عقل المؤرخ .

أن وقائع التاريخ هي عبارة عن جملة من الأحداث التاريخية واقعية تجريبية لا عقلية تأملية، ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت قد سيطرت الفلسفة المثالية على فلسفة التاريخ ، وفي النصف الثاني منه كان الاتجاه المادي هو المسيطر على الفلسفة والعلم معاً، وقد تأثرت عملية تفسير التاريخ بهذين الاتجاهين المتضادين ، ويظهر هذا التأثير بوضوح في التفسير المادي الاقتصادي الماركسي للتاريخ في النصف الثاني من القرف التاسع عشر.

كان للتفسير المثالي للتاريخ عند الغربيين صورتان رئيستان، تتفرع عنهما تفسيرات متعددة أولاهما تمثله نظرية العناية الإلهية التي صاغها الفكر الديني في القرون الوسطى على يد القديس أوغسطين (٤٣٠م) وهي تفسر لحركة التاريخ تفسيراً لا يخرج حتى في تفصيلاته وجزئياته عن الإرادة الإلهية، إذ هي تسير تلك الحركة، وتدفع بها حيث تشاء وربما بمعزل كلي عن أية إرادة للإنسان، أو فعل

مؤثر هو في مسيرة تاريخه، أما الصورة الثانية فترتبط بالفلسفة المثالية وانعكاساتها على التاريخ، متمثلة بصورة رئيسة بفلسفة التاريخ عند هيغل.

استند الفلاسفة المثاليين في التفسير المثالي للتاريخ إلى الأفكار الرئيسة لتلك الصورتان، فعلى سبيل المثال شهدت الحقبة التي راجت خلالها فكرة (المطلق) في الفلسفة المثالية ظهور فلسفة مثالية مناظرة قريبة من فكرة العناية الإلهية، إذ يرى المؤرخ البلجيكي ألتماير (١٨٠٤-١٨٧٧) ان حركة التاريخ ترجع إلى الله تعالى، حيث يذكر في كتابه (مجموعة من أبحاث في فلسفة التاريخ) الذي صدر عام ١٨٤٥ ، أن الله في اتحاد مباشر مع كل فرد، يوجهه في مسار حياته، وأن هناك تدخلا إليهاً في مفاصل التحول البشرية الكبرى في التاريخ تؤكده حقائق الماضي، وعندما تصل البشرية منهكة القوى إلى نهاية أحد تطوراتها يمنحها الله أجنحة جديدة، ويدفعها على امتداد سبل جديدة، ويرى ألتماير أن هدف البشرية في حراكها التاريخي هو التسليم بوجود إله واحد، ووجود وطن واحد للجميع، تكون فيه محبة البشر ديدناً وقانوناً وحيد.

أما تفسيرات التاريخ التي اعتمدت الصورة الأخرى للمثالية، البعيدة عن فكرة الله وتوجيهه لمسار التاريخ البشري، متعددة منها التفسير الذي يقول إن)الأفكار تحكم العالم، فيمنح الأفراد حرية واسعة في نهاية المطاف، ويرتب على أفعالهم دوراً في تحريك أحداث التاريخ، ومن التفسيرات الأخرى هو تفسير رالف أمرسون (١٨٠٣-١٨٨٢) الذي يرى أن التاريخ يحركه

(روح واحد أبدي عام) وهذه الروح أو العقل هو شيء مشترق بين الناس جميعاً، وما التاريخ سوى أعمال هذا العقل فنسيج الأحداث هو الرداء الفضفاض الذي تتدثر هو الروح العامة، وهي روح موجودة في كل الأشخاص عبر حقب الزمنية المتلاحقة، أون أفكار أمرسون ومن هنا يمكن ما جاء فيه اميرسون شبيهة بأفكار هيغل.

يعد هيغل (١٧٧٠-١٨٣٠) ابرز الفلاسفة المثاليين في العصر الحديث "وهو ند لأفلاطوف الفيلسوف اليوناني الذي تنحى فلسفته منحاً مثالياً واضحاً لاسيما في نظرية المعرفة، ونظرية الصور ، فالصور عنده ماهيات فكرية ثابتة مقابلة للمحسوسات، وهو اتجاه مثالي تجريدي انتقده تلميذه أرسطو نقداً عنيفاً لما عرف عن أرسطو من نزعة واقعية اتسمت بها فلسفته على الرغم من مثالية أستاذه، و كما ولد أفلاطون أرسطو الواقعي النزعة رغم مثالية أستاذه، كذلك هيغل أولد ماركس المادي النزعة.